

تجليات السادية والمازوشية عند الشعراء العرب القدامى
الفرزدق وقيس بن الملوح نموذجاًThe manifestations of sadism and masochism among
ancient Arabs poets
Farazdaq and Qais bin Al-Mallouh as a model

عادل ايت العسري، طالب باحث

جامعة القاضي عياض - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - مراكش

البريد الإلكتروني: aitelasriadil@gmail.com

رقم الهاتف: 06.71.43.86.07

ملخص البحث

. يعتمد التحليل النفسي الذي أرسى دعائمه سيغموند فرويد على تقنية التداعي الحر بحيث يستطيع المحلل النفسي، من خلال الحوار المباشر مع العصائبي، تحرير اللاوعي، وإتاحة الفرصة له للتعبير عن نفسه بعيداً عن رقابة الأنا، كما يتعامل التحليل النفسي مع الأحلام باعتبارها لغة رمزية محملة بدلالات عميقة. ولما كانت اللغة مكوناً جوهرياً في النصوص الأدبية، فقد اتخذها التحليل النفسي موضوعاً له على أساس أنها خطاب شفاف للاوعي الأديب. ومن ثم فالمبدع يشبه إلى حد ما العصائبي غير أن عصايته ليست سلبية لأنها تتمظهر في شكل إنتاج إبداعي خلاق. ومن هنا ستسعى الدراسة الحالية إلى تطبيق هذا المنهج النفسي على شاعرين عربيين قديمين هما: الفرزدق وقيس بن الملوح قصد الكشف عن تجليات عقدتي السادية والمازوشية لديهما. وسنحاول تحديد هذين الاضطرابين من خلال تحليل بعض المقاطع الشعرية، وكذا من خلال الرجوع إلى بعض البيانات الشخصية المرتبطة بسيرتهما؛ ومن هنا فهذه الدراسة لا تتوخى

الحكم على قصائد الشعراء من الناحية الفنية أو الجمالية، وإنما تهدف إلى الكشف عن العوامل النفسية التي كانت وراء تشكيلها.

الكلمات المفتاح: التحليل النفسي، السادية، المازوشية، الفرزدق، قيس بن الملوح.

Abstract

According to Freudian psychoanalysis, direct dialogue with the neurotic, in other words free association, frees the patient's unconscious and allows him to express himself far from the control of the ego. Thus, psychoanalysis treats the dream as a symbolic language charged with deep connotations. Since language is an essential component of literary texts, psychological analysis has considered it to be a transparent discourse of the conscious mind of writers. Consequently, one can say that the writers are neurotics, but in the positive sense because their neurosis manifests itself in the form of literary works. This is how we will use the Freudian approach to study two former Arab poets, namely: Al-Farazdaq and Qais Ibn Al-Mallouh, in order to reveal the sadism and masochism from which they suffer. In order to detect these two disorders with more relevance, we will analyze certain verses from their poems, so we will refer to certain biographical data. Consequently, this study does not seek to judge or criticize the poems from an aesthetic or literary point of view but rather to reveal the psychological factors which were at the origin of their genesis.

Key words: psychoanalysis, sadism, masochism, Farazdaq, Qais ibn al-Malluh.



مقدمة

إذا كانت العلاقة بين الأدب والنفس قديمة، فإن علاقة النقد الأدبي بعلم النفس حديثة نسبياً، وهي تعود إلى بداية القرن العشرين حيث تزامنت مع دعوة بعض النقاد إلى تأسيس علم الأدب من أجل فهم موضوعي للظاهرة الأدبية¹. ويمكن التمييز داخل خطاب علم النفس في النقد الأدبي العربي الحديث بين ثلاث تيارات: النقد النفسي، التحليل النفسي للأدب وعلم النفس الأدبي².

يعد التحليل النفسي للأدب من أبرز الخطابات النقدية التي حاولت الكشف عن سر عبقرية الأدباء وتحديد الاختلالات العصبية التي تقف وراء إنتاجهم الفنية، وقد اعتمد أعلام هذه المدرسة النقدية على النتائج التي توصل إليها عالم النفس النمساوي سيغموند فرويد الذي ميز في الشخصية بين ثلاث "قوى: الهو والأنا، والأنا الأعلى، وهي إن تفاعلت إيجابيا أنتجت الشخصية السوية، وإن كان تفاعلها سلبيا فإنها تنتج الشخصية المرضية، وبينها تأتي شخصية الأديب الذي يلجأ إلى التصعيد عن طريق الخيال لخلق التفاعل الإيجابي وإرضاء رغبات الهو الجنسية"³.

أضحى الأديب، من وجهة التحليل النفسي، مضطرب الشخصية، ولكنه -خلافا للمرضى النفسانيين العاديين- يستثمر هذا الاضطراب، فيحوّله إلى مصدر للإبداع. إن الأديب هو الذي يتحكم في معاناته وليس العكس، ولذلك أكد فرويد "أن الفنان ليس كالعصابي من حيث أنه يعرف كيف يجد مخرجا من عالم الخيال وأن يعود ليضرب في الواقع بقدم ثابتة"⁴.

وقد تفرع تيار التحليل النفسي للأدب إلى مسارين: أحدهما يعنى بشخصية الأديب في حين يهتم الثاني بتحليل النصوص الأدبية. ومن أبرز الدراسات المنتمية إلى المسار الأول نذكر دراسة النويهي لكل من ابن الرومي وبنشار بن برد وأبي نواس، ثم دراسة العقاد عن جميل بثينة وأبي نواس، أما ضمن الاتجاه الثاني فبرزت دراسة عز الدين اسماعيل لمجموعة من القصائد العربية ضمن كتابه "التفسير النفسي للأدب"، وهي الدراسة التي عالج من خلالها أيضا بعض النصوص السردية مثل مسرحية (هاملث) لشكسبير ومسرحية (سر شهرزاد) لعلي أحمد باكثير.

يسمح التحليل النفسي للأدباء بتسليط الضوء على الجوانب الغامضة في شخصياتهم، وإذا كانت هذه المقاربة تنظر إلى الأديب على أنه "عصابي"، فإن ذلك لا يعني إقصاء كتاباته من المجال الأدبي أو إغفال الطابع الجمالي المميز لها؛ لأن هذه الجوانب تظل بعيدة عن اهتمامات التحليل النفسي الذي يتوخى فهما أعمق لشخصية الأديب وبالتالي فهما أعمق لإبداعه.

يرتكز التحليل النفسي للأدب على مجموعة من المفاهيم المستمدة من علم النفس، ومن بينها اضطراب السادية والمازوشية، و كان أول من لفت الانتباه إلى هذين الاضطرابين الطبيب الألماني ريتشارد فون كرافت إيننج (Richard von Krafft-Ebing) الذي استوح "اسم" المازوشية من اسم الكاتب "ساشار مازوش" الروائي النمساوي الذي اشتهر أبطال روايته بالسقوط تحت سلطة

امراً... وأخذ كرافت اسم "السادية" نسبة إلى الروائي الفرنسي "دي ساد" الذي اشتهر أبطال رواياته بالتلذذ بالإيلام وتعذيب شريكاتهم جنسياً⁵، وقبل إيبينج، كان بعض الأطباء النفسانيين يطلقون على هذا الاضطراب اسماً آخر هو الألوغولانيا (ALGO- LAGNIE)، وقد ميزوا فيه بين نمطين: ألوغولانيا إيجابية وتقابل السادية، وأخرى سلبية وهي المازوشية لكن هذين المصطلحين لم يصمدا طويلاً حيث تبنى معظم علماء النفس مصطلحي إيبينج⁶. وسنحاول في هذه الدراسة استقصاء بعض ملامح هذين الاضطرابين عند شاعرين أمويين هما: قيس ابن الملوح (ت 68هـ) والفرزدق (ت 114هـ) استناداً إلى بعض المقاطع الواردة في قصائدهم مع الاستعانة بسيرتي الشعارين.

1 - سادية الفرزدق

ينظر إلى السادية على أنها انحرف جنسي، وهي تصنف ضمن ما يعرف بانحرافات التنبيه⁷، وقد عرّف فرويد السادية بأنها اضطرابات تشمل جميع الحالات التي "تتميز بحاجة إلى إبداء العنف، أو حتى إلى اتخاذ دور الشريك الإيجابي، وفي الوقت نفسه الحالات المرضية التي يكون فيها الإشباع مشروطاً بإذلال الموضوع الجنسي وإخضاعه لضروب شتى من سوء المعاملة"⁸، أما الدكتور هندرس فميز بين نوعين من الساديين: ساديين مجرمين كبار وساديين شاذين متوسطين أو صغار. يتسم الأفراد الذين ينتمون إلى النوع الثاني من السادية "بالضبط وعدم التنشيط، ويعني بالضبط أنهم يعرفون كيف يضعون حداً للعبهم السادي (Jeu Sadique)، أما عدم التنشيط (Désinhabitions). فمعناه أنهم يعمرون إلى الفعل"⁹.

وينتمي الشاعر الفرزدق إلى الساديين الكبار، وسنحاول الاستدلال على ذلك من خلال تحليل سلوكه.

أ - إخضاع الضحية

يتميز السادي بخصائص أبرزها القسوة والرغبة في إخضاع الآخر سواء أكان ذلك في الحياة الجنسية أو خارجها؛ فهو يميل دائما إلى إخضاع الموضوع، ويجد لذة ومتعة كبيرتين في إذلال الآخر والسيطرة عليه. إن السادي الكبير يعلم أن ضحيته تنفر منه، وتكرهه لكنه يستمر في إيلاها قصد إخضاعها والتحكم فيها. وهذه السمات نجدها فيما روي من أخبار عن الفرزدق، أحدها يتصل بعلاقته بابنة عمه النوار؛ إذ إنه تزوجها عن طريق الحيلة والخدعة رغم علمه المسبق بأنها كارهة له¹⁰، وقد مكثت عنده ابنة عمه "زمانا، ترضى عنه أحيانا، وتخاصمه أحيانا، وكانت النوار امرأة صالحة، فلم تزل تشتمز منه، وتقول له: ويحك أنت تعلم أنك إنما تزوجت بي ضغطة وعلى خدعة"¹¹.

ويبدو أن رغبة الفرزدق في إشباع رغبته الجنسية لم يكن يحدها أي عائق؛ فقد كان يبذل جميع الأسباب لإشباعها حتى لو كان الطرف الآخر رافضا، وهو ما وقع للفرزدق مع المرأة الشريفة التي رغب فيها لكنها أبت، فلما امتنعت عليه هدها بأن يشهر بها في شعره، ولم تتخلص المرأة من شر الفرزدق إلا بعد استغاثتها بزوجته النوار¹².

لم تقتصر سادية الفرزدق على علاقاته مع المرأة أو نزواته الجنسية بل تجلت أيضا في علاقته بالرجال؛ إذ إنه غالبا ما كان يصبر على تحقيق رغباته بالإكراه، وخير مثال على ذلك الحادثة التي رواها خالد بن كلثوم الكلي حيث أنه التقى يوما بالفرزدق، فطلب منه أن ينشده بعض القصائد التي يهجوها فيها خصمه جرير، فلما أنشد خالد بن كلثوم، قال له الفرزدق: "فأنشد نقائضها التي أحبته بها، فقلت ما أحفظها، فقال: يا خالد، أحفظ ما قاله في ولا تحفظ نقائضه، والله لأهجوئنك كلبا هجاء يتصل عاره بأعقابها إلى يوم القيامة، إن لم تقم حتى تكتب نقائضها أو تحفظها أو تنشدها فيها، فقلت: أفعل، فلزمته شهرا حتى حفظت نقائضها، وأنشدته إياها خوفا من شره"¹³. فهذا الخبر يؤكد أن الفرزدق كان يمارس عنفه وسلطته على المحيطين به حتى ينقادوا له، ويحققوا رغباته مكرهين خوفا من بطشه وتسلطه.

ب - الإغارة على أبيات الشعراء

اشتهر الفرزدق بسطوته وعنفه، ولم يقتصر هذا الأمر على من يحيط به من الناس بل امتد إلى مجال الإبداع حيث عرف عنه إغارته على قصائد بعض الشعراء¹⁴، ويتطابق هذا السلوك مع "نزوة السطوة" لدى السادي أي نزوعه إلى السيطرة على الشيء بالقوة¹⁵، ومن المواقف الدالة على ذلك ما وقع للفرزدق عندما قدم المدينة، "فمر بجماعة من الناس وقد تحلقوا حول الشاعر جميلة بثينة وهو ينشدهم إحدى قصائده حتى إذا وصل إلى البيت الذي يقول فيه:

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أو مأنا إلى الناس وقفوا

فقال الفرزدق: متى كان الملك في بني عذرة؟ إنما هو في مضر وأنا شاعرها، فغلب الفرزدق على البيت، ولم يتركه جميل، ولا أسقطه من شعره¹⁶.

وقد تكرر الموقف نفسه لكن مع شاعر آخر هو ابن ميادة؛ فقد سمعه الفرزدق ينشد أبياتا فأعجب بها، فقال الفرزدق: "يا ابن الفارسية، أما والله لتدعنه لي أو لأنبشئن أمك في قبرها، فقال له ابن ميادة: خذه لأبارك الله لك فيه"¹⁷.

ويظهر أن الفرزدق كان يهدد الشعراء بهجائهم إن لم يتنازلوا له عن أبياتهم التي تروق له، وغالبا ما كانوا يخضعون لرغبته؛ لأنهم يخشون لسانه، ويعلمون شره وقدرته الكبيرة على التشهير بهم بين القبائل، ولم يكن الشاعر الشمردل بمنأى عن سطوة الفرزدق، فهذا الأخير مر "يوما على الشمردل وهو ينشد قصيدته حتى بلغ إلى قوله:

وما بين من لم يعط سمعا وطاعة وبين تميم غير حز الغلاقم

قال: والله، لتتركن هذا البيت أو لتتركن عرضك، قال: خذه على كره مني"¹⁸.

إن الفرزدق يعتدي على الشعراء، يسلبهم أبياتهم بالقوة وفي واضحة النهار، وهو أمر غير أخلاقي بل وينفر منه أي شاعر بيد أن الفرزدق لم يكن يرى في ذلك عيبا بل كان يعتقد أن من حقه تملك إبداع الآخرين بالقهر والعنف، ومرد ذلك إلى شخصيته السادية. لقد كان معظم الشعراء يتأففون من سرقة الأبيات الشعرية، ويخشون أن يتهمهم النقاد بالسرقة في حين أن الفرزدق لم يتوانى عن هذا الفعل اللاأخلاقي في حق الشعراء المعاصرين له، وكان يجد لذة كبيرة في أخذ ما ليس له، إنها نشوة السادي التي تتزايد بعد كل مرة يخضع فيها الناس لنزواته.

2 - مازوشية قيس بن الملوح بن مزاحم

تصنف المازوشية - مثل السادية - ضمن انحرافات التنبيه الجنسية، ويعتقد فرويد أنها "لا تعدو أن تكون استمرارا للسادية التي ترتد على الشخص ذاته الذي يحل في هذه الحالة محل موضوعه الجنسي" ¹⁹ ، أي أن المازوشي سادي لكنه يوجه عنفه إلى ذاته وليس إلى الآخرين، وهناك تصنيفات عدة لأنماط المازوشيين، أحدها تصنيف فرويد الذي حدد خمسة أنواع من المازوشيين من بينها المازوشي الأخلاقي الذي يتميز ببحثه الدائم عن "العقاب من لدن الأنا الأعلى أو من أي ممثل للسلطة، ويتميز هذا النوع من المازوشية بالإحساس بالذنب والحاجة إلى العقاب" ²⁰، كما أن المصابين بهذا الاضطراب "لا ينتظرون إيلام الشريك الجنسي لهم، وإنما يتحصلون عليه (الإيلام) أثناء مختلف لحظات (ظروف) الحياة مما يدل على نوع من الإحساس اللاشعوري بالذنب وأيضا الحاجة اللاشعورية للعقاب" ²¹. وتنطبق هذه الصفات على الشاعر قيس بن الملوح الملقب بمجنون بني عامر.

هناك بعض الدارسين الذين يعتقدون أن شخصية مجنون ليلى لم توجد في يوم من الأيام، وأن الأخبار المنسوبة إلى هذا الشاعر مجرد قصص اخترعها الرواة ²²، وإذا سلمنا جدلا بصحة هذه الاعتقاد، فإننا مع ذلك لا يمكن أن ننفي "واقعية" الأخبار التي تناقلها الرواة على أساس أنها ليست أخبار عجيبة أو مفارقة للواقع. قد تنطوي تلك الأخبار على نوع من المبالغة لكنها تظل مستمدة من الواقع، وهذا أحد أهم أسباب تداولها وشيوعها بين الناس، ولما كان التحليل النفسي للأدب يعني بتحليل شخصية الأديب، فإن الدراسة الحالية لن تخوض في مسألة وجود قيس بن الملوح أو صحة نسبة القصائد إليه بل ستحاول رصد بعض مظاهر المازوشية عند هذا الشاعر انطلاقا من الأخبار التي نقلها الرواة أو من خلال بعض الأبيات الشعرية التي أثبتتها له معظم النقاد القدامى.

كان قيس بن الملوح قد تعلق قلبه بليلي بنت مهدي بن سعدي التي تلقب بـ بأم مالك، وهما حينئذ صبيان، فعلق كل واحد منهما صاحبه وهما يرعيان مواشي أهلهما، فلم يزالا كذلك حتى كبرا، فحجبت عنه²³. وقد كان ذلك سببا في جنون قيس.

إن وصف الشاعر بالجنون لا يعني فقدانه لملكة التمييز بين الخطأ والصواب بل هو وصف لبعض التصرفات التي كان يأتي بها والتي عدّها البعض خارجة عن العرف والعادة، ومن أمثلة ذلك أن أبا ليلي - وعشيرته - رفض تزويج ابنته من الشاعر، غير أن هذا الأخير لم يزد ذلك إلا تعلقا بليلي حيث أصر على زيارتها ورؤيتها، وظل يتردد على أهلها وقبيلتها "ويهجم عليهم فشكوه إلى السلطان، فأهدر دمه لهم، فأخبروه بذلك، فلم يرعه، وقال: الموت أروح لي فليتهم قتلوني"²⁴. وقد تجلت مازوشية قيس ابن الملوح في مظهرين أو سلوكيين رئيسيين هما: التلذذ بالألم والبكاء المهستير.

أ - التلذذ بالألم

تقترن السعادة عند الأسوياء بتجنب الألم والأسباب المؤدية إليه، في حين أن المازوشي يبدي ميلا كبيرا إلى التعرض للأذى ليس من طرف الغير بل إنه يسعى إلى إيذاء نفسه؛ لأنه يجد في الألم لذة ما بعدها لذة حتى لو أدى به الأمر إلى الموت، فهو لا يخشى الألم مادام أنه يقتن بالسعادة التي ينشدها، يقول مجنون ليلي²⁵:

فلو خلط اسم الزعاف بريقها تمصصت منه نحلة ورويت

إذا كانت عادة الشعراء القدامى تصف ريق المحبوبة بالخمير أو الماء الزلال، فإن قيس بن الملوح قد وصفه - على سبيل المبالغة - بأنه مخالط للسم، ولم يكن ذلك ليثنيه عن الارتواء الذي ينشده، ارتواء لا يتم إلا بشرب ريق المحبوبة حتى لو أدى ذلك إلى هلاكه؛ لأن روحه آنذاك تكون قد بلغت غايتها، وتحقق لها مرادها. وقد كان المقربون من الشاعر يشفقون على حاله، ويرثون لمعاناته (لذته) خصوصا أقاربه، وقد حاول أبوه أن يخفف عنه من وطأة الحزن، فتوجه به إلى الحج، فلما وصلا قال لابنه: "تعلق بأستار الكعبة، واسأل الله أن يعافيك من حب ليلي، فتعلق بأستار الكعبة، وقال: اللهم زدني ليلي حبا وبها كلفا ولا تنسي ذكرها أبدا"²⁶، وهذا يدل على أن الألم استحالة لذة لدى الشاعر، فهو لا يزال يطلبه، ويحرص عليه حتى ظهرت آثاره على جسده بعد

امتناعه عن الأكل والشرب حيث هزل جسمه، وتدهورت حالته الصحية، وفي ذلك يقول الشاعر²⁷:

ولم يبق إلا الجلد والعظم عاريا ولا عظم لي إن دام ما بي ولا جلد
وتجدر الإشارة إلى أن جميع الشعراء الذين ينتمون إلى تيار الغزل العذري²⁸ ذاقوا معاناة الفراق
والهجر، وظهرت آثار تلك المعاناة عليهم نفسيا وجسديا لكن ما يميز قيس بن الملوح عنهم هو أنه
كان يجهد نفسه في طلب تلك المعاناة (اللذة)، ويرى أن ما حل به لا يمكن أن يقاس بغيره، وفي
هذا النطاق يقول قيس بن الملوح مقارنة نفسه بعروة بن حزم العذري الذي كان متيما بابنة عمه
عفرأ²⁹:

عجب لعروة العذري أضحى أحاديثا لقوم بعد قوم

وعروة مات موتا مستريحا وها أنا ميت كل يوم

وقد كان قيس مدركا أن هذه معاناته لن تنتهي إذ يقول³⁰:

أراني إذا صليت يمت نحوها بوجهي وإن كان المصلي وراثيا

وما بي إشراك ولكن حبا كعود الشجا أعيا الطبيب مداويا

وهذا الإصرار على تعذيب الذات وإيلامها دليل واضح على أن الشاعر مازوشي أخلاقي، إذ أن هذا "العصابي" يعمل "ضد مصلحته الشخصية، ويهدم الآفاق التي تفتح أمامه العالم الحقيقي، ويقوم بإفناء وجوده الحقيقي³¹. وعيئا حاول أهل الشاعر منعه من تعذيب نفسه، فحبسوه وقيدهوه لكنه أخذ يعرض لسانه وشفته، فأشفقوا عليه وخلوا سبيله"³²، وإلى جانب الأذى الجسدي الذي يلتذ به الشاعر فقد ظهرت مازوشيته من خلال سلوك آخر هو البكاء.

ب - البكاء المستيري

اقترح علماء النفس تصنيفات متعددة للشخصية المازوشية من بينها تصنيف تبناه ميشيل مونيات الذي ميز بين ثلاثة أنماط: أحدها المازوشي الشاذ (le masochiste pervers) الذي يتطابق إلى حد كبير - مع نمط المازوشي الأخلاقي عند فرويد، ومن أهم صفاته بنيتة النفسية الطفلية³³ حيث تكون شخصيته ضعيفة هشّة عاجزة عن مواجهة المواقف بشكل سليم بل إن المازوشي الشاذ

يفضل التصرف كالأطفال وذلك عندما يأخذ في البكاء لأدنى سبب، وقد اتخذ البكاء عند قيس بن الملوح شكلين:

✓ البكاء على الديار

دأب العديد من الشعراء القدامى على استهلال قصائدهم بذكر الديار وأهلها والبكاء عليهم، وكانت هذه المقدمة الطليقة³⁴ فرصة لاسترجاع الذكريات وبعث مشاعر الحنين للأهل (المحبوبة)، غير أن هذا الاستهلال لم يكن سوى تقليد أدبي، كان الشعراء يبدوون به قصائدهم قبل الانتقال إلى الغرض الرئيسي (وصف الرحلة-وصف الناقة...)، وإذا كان هذا الاستهلال مجرد تقليد شكلي، فإن قيس بن الملوح قد جسده على أرض الواقع؛ ففي أحد الأيام علم برحيل ليلى وأهلها، فاتجه صوب حيههم، وطلب من إبنى عمه أن يرافقه إلى منزل ليلى الخالي، لعل نار أشواقه تهدأ قليلا "فقاما معه حتى أتى دار ليلى، فوقف بما طويلا يتتبع آثارها ويكي، ويقف في كل موضع منها ويكي ثم قال³⁴:

إني أرى رجعات الحب تقتلني وكان في بدئها ما كان يكفيني

وقد بلغ العشق بقيس أن توحد لديه المحبوب بالمكان الذي يحل فيه، فكل بيت حلت به ليلى وكل فضاء مرت منه ظل محتفظا بصورتها، وبالتالي أصبح موضوعا لحب الشاعر الذي لا يتوانى عن زيارة ذلك المكان لعله يعثر فيه على طيف صاحبتة، فيناجيه، وعن ذلك يقول الشاعر³⁵:

أمر على الديار ديار ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

✓ البكاء عند تذكر المحبوبة

لم يكن قيس بن الملوح - دائما - في حاجة للتنقل إلى حي ليلى كي يسترجع ذكراها؛ لأن طينها كان يظهر له في كل لحظة وفي كل مكان، فيكون هذا التذكر بمثابة حافز للبكاء، وغالبا ما كان يرتبط هذا التذكر بأحد عناصر الطبيعة؛ ففي أحد الأيام كان الشاعر جالسا بين أصحابه "متفكرا لا يحاطبهم حتى جاء الليل فلما كان السحر هبت نسمة وأبرق برق مما يلي حي ليلى من جانب بني ثقيف، فأنشد قائلا³⁶:

طربت وشاقتك الهمول الدوامع غداة دعا بالبين أسفع نازع
قلت لأصحابي ودمعي مسيل وقد صدع الشمل المشتت صاعد
الليلي بأبواب الخدور تعرضت لعيني أم قرن من الشمس طالع

لقد اكتسبت الظواهر الطبيعية عند قيس الملوح معنى جديدا؛ فقد أضحت بالنسبة إليه رسائل حنين تبت في نفسه الشوق إلى ليلى، كما هو الحال بالنسبة للسيل الذي علم قيس أنه متجه صوب حي حبيته، فكان ذلك باعثا لذكراها، فقال الشاعر³⁷:

جرى السيل فاستبكاني السيل إذ جرى وفاضت له من مقتلي غروب
وما ذاك إلا حين أيقنت أنه يكون بواد أنت فيه قريب

وفي أحيان أخرى يكون الحيوان باعثا لأشواق الشاعر، فتعزته نوبة بكاء مفاجئة؛ إذ يروى أن الشاعر سمع، في أحد الأيام، صوت هدير حمامة، فبكى، فسأله أحد رفاقه عن السبب فأجاب³⁸:

أن هتفت يوما بواد حمامة بكيت ولم يعذرک بالجهل عاذر
وقد يحدث أن تصله أخبار محبوبته فيكون ذلك سببا لبكائه، وعن ذلك يقول³⁹:

يتبين، إذن، أن قيس بن الملوح كان يجد راحته وسعادته في لعب دور الضحية، وأنه لم يكن يتوانى، في أي لحظة، عن تعذيب نفسه وإيلامها. لقد كان بمقدوره أن يتناسى محبوبته، وأن يبدأ صفحة

جديدة لكنه أثر أن يظل وفيما لذكرى محبوبته، فكان بذلك قيس ابن الملوح ساديا ومازوشيا في الوقت ذاته؛ لأنه كان يتلذذ بإلحاق الأذى بنفسه فكان هو المذنب والضحية في نفس الوقت.

خاتمة:

يعد الأدب ميدانا خصبا للتحليل النفسي إذ إنه يسمح بالكشف عن الانحرافات النفسية التي كانت وراء إبداع الأدباء لنصوصهم، وهي انحرافات لم يكن الأدباء أنفسهم على وعي بها لحظة الإبداع حيث جاء خطابهم الأدبي في شكل تداع حر تسرب من خلاله اللاوعي ليعبر عن نفسه بلغة إبداعية. وقد سمح لنا تطبيق التحليل النفسي على الفرزدق وقيس ابن الملوح من تحديد العصاب الذي عانى منه كل واحد من الشعارين، وذلك على الشكل الآتي:

-عانى الفرزدق من النزعة السادية التي جعلته يسعى باستمرار إلى السيطرة على الأفراد المحيطين به؛

- اتخذت سادية الفرزدق شكلين: الرغبة في إخضاع الناس بالقوة والإغارة على الشعراء.

-عانى قيس ابن الملوح من المازوشية، وكان ذلك سببا في نظمه لقصائد عديدة في محبوبته؛

- تجلت مازوشية قيس ابن الملوح في تلذذه بتعذيب نفسه من جهة، وسرعة بكائه من جهة أخرى.

الهوامش:

- ¹ محمد النويهي، ثقافة الناقد الأدبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط 1، 1949، ص 74-75.
- ² عبد العزيز جسوس، خطاب علم النفس في النقد الأدبي العربي الحديث، المطبعة والوراقة الوطنية- مراكش، ط1، 2006، ص 50.
- ³ المرجع نفسه، ص 47.
- ⁴ عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب، ط 4، د.ت، ص 23
- ⁵ بوخميس بوفولة، تصميم السادية والمازوشية، أطروحة دكتوراه في علم النفس الإكلينيكي، جامعة للأخوة منتوري - قسنطينة، 2007، ص 18.
- ⁶ سيغمووند فرويد، ثلاثة مباحث في نظرية الجنس، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطبعة - بيروت، ط 2، 1983، ص 34.
- ⁷ بوخميس بوفولة، مرجع سابق، ص 22-23.
- ⁸ فرويد، مرجع سابق، ص 34.
- ⁹ بوخميس بوفولة، مرجع سابق، ص 31.
- ¹⁰ أبو فرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق إحسان عباس-إبراهيم السعافين-بكر عباس، دار صادر، بيروت ج 21، ط3، 2008، ص 201.
- ¹¹ المرجع نفسه، ص 202.
- ¹² المرجع نفسه، ص 254.
- ¹³ المرجع نفسه، ص 208.
- ¹⁴ الإغارة هي أن يضع الشاعر بيتا ويخترع معنى مليحا فيتناوله من هو أعظم منه ذكرا وأبعد صوتا - فيروي له دون قائله (العمدة في محاسن الشعر، ج2، ص 284).
- ¹⁵ بوخميس بوفولة، مرجع سابق، ص 39.
- ¹⁶ أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، الكتاب: العمدة في محاسن الشعر وأدابه، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل- بيروت، ط5، 1981، ج2، ص 285.
- ¹⁷ أبو الفرج الأصفهاني مرجع سابق، ص 200.
- ¹⁸ المرجع نفسه، ص 228.
- ¹⁹ فرويد، مرجع سابق، ص 35.
- ²⁰ بوخميس بوفولة، مرجع سابق، ص 41.
- ²¹ المرجع نفسه، ص 42.
- ²² يقول الأصمعي: "رجلان ما عرفاني الدنيا قط إلا بالاسم: مجنون بني عامر وابن القرية وإنما وصفهما الرواة"، ويقول ابن الكلبي: "حدثت أن حديث المجنون وشعره وضعه حتى من بني أمية كان يهوى ابنة عم له، وكان يكره أن يظهر ما بينه وبينها، فوضع حديث المجنون، وقال الأشعار التي يروونها الناس له ونسبها إليه" (الأغاني، ج2، ص6)
- ²³ أبو فرج الأصفهاني، مرجع سابق، ج 2، ص 10.

- 24 المرجع نفسه، ص 19.
- 25 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 26 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 27 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 28 هو ضرب من الشعر يكون فيه الحب نقيا ظاهرا يملك على الشاعر كل عواطفه وأهوائه، حتى ليصبح ضربا من الهيام القوي الحاذ الذي يدفع الشاعر إلى التغني بمحبوبته في شعر عذب لا يחדش الحياء، شعر يموج بالحرمان والحرارة والعشق وشدة الظمأ الذي لا ينتهي (شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ج 3، ص 371)
- 29 أبو فرج الأصفهاني، مرجع سابق، ص 55.
- 30 المرجع نفسه، ص 45.
- 31 بوخميس بوفولة، مرجع سابق، ص 32
- 32 أبو فرج الأصفهاني، مرجع سابق، ص 57.
- 33 بوخميس بوفولة، مرجع سابق، ص 47.
- 34 أبو فرج الأصفهاني، مرجع سابق، ج 2، ص 21.
- 35 عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 4، 1997، ج 4، ص 228.
- 36 أبو فرج الأصفهاني، مرجع سابق، ص 36.
- 37 المرجع نفسه، ص 41.
- 38 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 39 المرجع نفسه، ص 26.

لائحة المراجع والمصادر:

- 1- أبو على الحسن بن رشيق القيرواني، الكتاب: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل-بيروت، ط 5، 1981.
- 2- أبو فرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق إحسان عباس-إبراهيم السعافين-بكر عباس، دار صادر، بيروت ج 21، ط 3، 2008.
- 3- بوخميس بوفولة، تصميم السادية والمازوشية، أطروحة دكتوراه في علم النفس الإكلينيكي، جامعة للإخوة منتوري - قسنطينة، 2007.
- 4- سيغmond فرويد، ثلاثة مباحث في نظرية الجنس، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطبعة - بيروت، ط 2، 1983.

- 5- عبد العزيز جسوس، خطاب علم النفس في النقد الأدبي العربي الحديث، المطبعة والوراقة الوطنية- مراكش، ط1، 2006.
- 6- عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997.
- 7- عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب، ط4، د.ت.
- 8- محمد النويهي، ثقافة الناقد الأدبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1949.